اسم الدرس : سلسلة إشكاليات| إعادة ضبط ج١

تصنيف الدرس : تربويات

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

بإذن الله عزَّ وجل مجلس اليوم يمكن أن نُسمّيه –مبدئيًا– إعادة ضبط، نحن اليوم إن شاء الله نريد أن نتكلم عن القرآن، عندما يبتعد الشخص فترة عن القرآن؛ فإن قلبه يقسو، فنريد اليوم أن نتكلم عن القرآن. نحن بفضل الله نسير في سلسلة الإشكاليات التي تخص الشباب ولا سيما الشباب الملتزم، فاليوم يمكن أن يُوضع ضمن التربويات، ضمن الإشكاليات، سوف نرى حسب ما يتضح من الموضوع بإذن الله ونحن نتكلم معًا.

قبل أن أبدأ أتكلم عن القرآن أريد أن أعطي مقدمةً مهمة: لماذا تحديدًا الكلام عن القرآن؟ الكلام عن القرآن بحر لا ينتهي، فما هو الموضوع الذي أريد أن أتكلم عنه تحديدًا في القرآن؟ سنُقدم بمقدمات معينة من خلالها سنصل إلى المعنى الذي أريد أن أوصله.

– المقدمة الأولى:

أولًا: عندما تلقي نظرة عامة على العالم كله تجده يمر بأحداث غير مسبوقة لم تحدث من قبل، ولا سيما أن تنظر على العالم وأنت تنظر من داخل الأُمّة الإسلامية. أنت كمسلم ولك انتماءك للأُمّة المسلمة وتنظر على حال المسلمين، وتنظر إلى حال العالم، ستجد أول شيء أنَّ الأُمّة الإسلامية تمر بحالة غير مسبوقة، الوضع الحالي وضع غير مسبوق قبل هذا، بسبب نقطتين مهمتين جدًا –هذه محاولة للبحث عن الفروق–.

لكن ما هو أهم فارق أو ما هي أهم النقاط الفارقة بين وضع المسلمين الآن في الوضع الحالي وبين وضع المسلمين في الماضي حتى وجود الخلافة العثمانية؟ أنا في ظني –والله أعلى وأعلم– أنَّ هناك فارقين مهمين جدًا مؤثِرَين، من الممكن أن يكون هناك فوارق أخرى كثيرة مؤثرة لكن ظني أنَّ هذين الفارقين مؤثِرَين أو من أهم العوامل المؤثرة.

- الفارق الأول بين حالنا الأُمّة الإسلامية الآن وفي الماضي: أنَّ هناك فارق تقدُّم دنيوي رهيب بيننا وبين الأُمم الأخرى وبين الأُمّة الغربية تحديدًا أو حتى بقية الأمم، أصبحنا في حالة من التخلُّف الدنيوي غير المسبوق، في الأصل العالم يمر بتقدم دنيوي غير مسبوق –إن صحَّت كلمة تقدُّم ولا

أريد أن أدخل في الخلاف في المصطلح- لكن الشاهد؛ أنَّ هناك تطورًا دنيويًّا، هُناك تمكُّن من الأدوات والقضايا والأشياء الدنيوية، لدرجة أنك عندما تقرأ في الاكتشافات مثلًا في فترة من الفترات؛ اكشاف الطباعة أحدث نقلة في العالم، أحدث تغيير في العالم، تغيير في الثقافة مجرد الطباعة، فما بالك الآن كمية الاكتشافات الرهيبة التي تُكْتَشف! فالعالم الآن غير العالم القديم بسبب هذه التقدمات.

بالنسبة لنا كأُمّة إسلامية هناك فارق ضخم، نحن كأُمّة متأخرين جدًا في هذا الباب، وهذا أدى إلى أنَّ أي مقارنة أو أي فارق بيننا و بين الأُمم الأخرى غير المسلمة؛ فارق ضخم على كل المستويات، وخاصة على مستوى الأسلحة مثلًا، أو على مستوى التكنولوجيا أو على أي مستوى، فدائمًا أنت غالبًا تكون تابع، أنت غير مستقل، أنت ليس لديك إرادة كأُمّة إسلامية، أنت فاقد لإرادتك بسبب هذا التقدُّم وبسبب الانهزام أمام التقدم.

- **الفارق الثاني بيننا كأُمّة إسلامية في الوقت الحاضر وفي الماضي**: أنه كان هناك على الأقل رابط، حتى لو كان يمر بأحوال من الهشاشة والانكسار والتقلُّبات لكن كان هناك رابط بين كل المسلمين أو أغلب المسلمين أو حتى أجزاء من المسلمين -لو قامت أكثر من خلافة اسمها خلافة-، كان هناك رابط، المسلم كان يشعر بنوع من الانتماء؛ أنه كوحدة واحدة حتى لو اختلفت الأقطار والأمصار والولايات لكن كان في النهاية هناك إحساس أنَّ هُناك أُمّة كبيرة اسمها الأُمّة الإسلامية، وكان يوجد شخص كبير اسمه الخليفة، كانت بقية الأمم تحسب له حسابًا؛ لأنه عندما كانت مثلًا أي أُمة أخرى أو أي دولة أخرى يحدث بينها وبين المسلمين خلاف؛ هي تعلم أنَّ المشكلة مع أُمّة ضخمة، قد تستدعي جيوشها وقواتها من العالم الإسلامي كله، هذا فُقِد وأصبحنا دُوَيلات أصبحت كل دولة وحدها، أوروبا قاموا بإنشاء الاتحاد الأوروبي، وأمريكا هي مجموعة ولايات متحدة أكثر من خمسين ولاية، إنما نحن الآن الأُمم الإسلامية حاولوا إنشاء أفكار تَجْمَع كالقومية أو الوطنية أو العربية، كل هذه الأفكار شبه بَاءَت بنوع من الفشل والحالة أنَّ كل دولة لها حدودها واستقلالها بذاتها.

الفارقان يجعلان الأُمة الإسلامية في الوضع الحالي الذي نحن نعيشه تمر بحالة لم تمر بها من قبل؛ فبالتالي أي شخص يفكر أن ينهض بالإسلام وينهض بالأُمّة الإسلامية تقابله هاتان العقبَتان؛ أنَّ الأُمة متفرقة دُوَل مختلفة كثيرًا، كل دولة بمفردها بحدودها بشكلها بعَلَمِها بثقافتها، وحتى بلهجتها، أنت من الممكن

-وهذا نراه كثيرًا في الحرم- من الممكن أن تجد اثنين يتكلمان معًا لا يستطيعان أن يفهما بعض جيدًا وكلاهما عرب لكن هذا بلهجة وهذا بلهجة أخرى، ويبحثان عن لغة أخرى حيادية يتعاملان بها. فهذه كانت المقدمة الأولى.

المقدمة الأولى في درس اليوم: **أنَّ أُمتنا الإسلامية تمر بوضع لم تمر به من قبل بسبب أشياء كثيرة،** أو **الفوارق بين الوقت الحالي والوقت الماضي أكثر من فارق،** أنا أرى أنَّ أهمهم نقطتان.

- الفارق أصبح ضخمًا؛ كان قديمًا عندما يحدث تناحر أو تنازع بين الأُمّة الإسلامية وبين أي أُمّة أخرى كان الفارق سهلاً، أي أنَّ هؤلاء معهم منجنيق وهؤلاء معهم سلاح آخر، فكانت الفوارق بسيطة، أما الآن الفارق ضخم جدًا فهذا يصنع حالة من اليأس عند كثير من المسلمين، فيقول بعضهم الحل أننا نكون تَبَع، المنهزم نفسيًا يقول ذلك: لا داعي أن ندَّعي أننا أُمّة مميزة وأُمّة لها ثقافتها وحضارتها أو تملك شيئًا ليس عندها، فدعنا نُقلّدهم في كل شيء، لم يقل مثلًا نُقلّدهم في شيء ونستفيد منهم فيما سبقونا فيه دنيويًا، لكن أنت لك ثقافتك ولك هُويتك، ولكن التقليد في كل شيء؛ لذلك كانوا دائمًا يُفرّقون؛ ما الفارق بين أن تقوم بعمل تحديث وبين الحداثة؟ أنت تستورد القيم منهم أم تستورد التطور الدنيوي وتنقله عندك وتحتفظ بهُويتك، هذا هو الفارق الأول.

- الفارق الثاني؛ التشتُّت والتفرُّق الذي ليس فقط على مستوى الدُّول، بل حتى على مستوى الأفراد والجماعات، وللأسف هذا مرض يَنْخُر في الأمة الإسلامية كما قال النبي ﷺ: (إن الشيطان قد يئس أن يُعْبد في جزيرة العرب ولكن في التحريش بينهم)[1].

أصبحت قضية الخلافات والاختلافات هذه قضية تشغل المسلم جدًا، كمّ هائل من الاختلافات لدرجة أنَّ كل مجموعة تتشاجر مع مجموعة ثانية وكل شخص وكل مسجد، هناك خلافات بطريقة رهيبة، في حين أنه ينبغي على الإنسان أن يعمل على -كما قال النبي ﷺ- أن يُتم الصف، كما يتم صف الصلاة يتم صف أهل الإيمان، والنبي ﷺ قال: (ما من خطوةٍ أحبُ إلى الله من خطوةٍ تَصل بها صفًّا)[2].

---

[1] [عن جابر بن عبدالله]: إنَّ الشَّيطانَ قد يئسَ أن يعبدَهُ المصلُّونَ ولكن في التَّحريشِ بينَهم.
الألباني (ت ١٤٢٠)، صحيح الترمذي ١٩٣٧ • صحيح .

[2] [عن البراء بن عازب]: قُمنا إلى الصلاةِ بمِنًى، والإمامُ لم يَخرُجْ، فقعَدَ بعضُنا، فقال لي شيخٌ من أهلِ الكوفةِ: ما يُقعِدُكَ ؟ قُلْتُ: ابنُ بُرَيدةَ، قال: هذا السُّمودُ، فقال الشيخُ: حدَّثَني عبدُ الرحمنِ بن عَوْسَجةَ، عنِ البَراءِ بنِ عازبٍ قال: كُنّا نَقومُ في الصفوفِ على عَهدِ رَسولِ اللهِ صلّى اللهُ عليه وسلَّمَ طويلًا قبلَ أنْ يُكبِّرَ. قال: وقال: إنَّ اللهَ ومَلائكتَه يُصلُّونَ على الذين يَلونَ الصفوفَ الأُوَلَ، وما من خُطوةٍ أحبَّ إلى اللهِ من خُطوةٍ يَمْشيها يَصِلُ بها صفًّا.

عندما يكون في الصلاة صفٌّ فارغ وأنت تأخذ خُطْوة لكي تتم هذا الصف؛ هذه من أحب الخطوات إلى الله، هذا في الصلاة فكذلك في الدين أيضًا؛ أنك تسعى أن تكون مِفتاحًا للخير، أنْ تَصل بين الصفوف لا أن تكون عنصر شَق وتفرقة، محاولة إيجاد حتى الرؤى المشتركة وتأجيل قضايا خلافية معينة، بحيث يكون هناك فقه في الأولويات في التعامل مع الخلاف، لكن للأسف –وكلنا ذلك الرجل الذي يسقط في هذا الإشكال– مسألة التفرُّق التي أصبحت منتشرة بسرعة رهيبة جدًا. هذه المقدمة الأولى.

– المقدمة الثانية:

أنَّ هذه الحالة التي وَصَفْتها بالطبع وَلَّدت عند كثير من المسلمين حالة من الانهزام النفسي؛ فبالتالي أصبح يُقلّد الغرب في كل شيء؛ يستورد منه ثقافته، الإنسان المسلم أصبح مفتقدًا أنَّ له انتماء، فهو يبحث لنفسه عن انتماء يُحاول الانتماء لأي حضارة وأي ثقافة، أصبح مُقَلِّدًا، هذا في العموم.

والذي تسبَّب في زيادة الإشكال؛ أنَّ الحضارة المتقدمة سواء الغربية أو غيرها –غير المسلمة– تعمل على تحريف الدين حتى الدين الذي عندهم، عندما تقرأ مثلًا في تطور نشأة الدولة الحديثة أو تطور الدين عندهم وكيف أنَّ العلمانية وصلت لديهم لهذه الحالة وتجاوزت الكنيسة وأنَّ الكنيسة انحصر إطارها في دور محدد، وأنَّ العلمانية هي التي انتصرت، وباعترافهم تم ((علمنة –أو لبرلة– الدين)) عندهم، ووصلوا إلى أنه تم تحييد الدين في مكان محدد، هذا أشبه باعتراف بانهزام الدين هناك.

وليس فقط تحريف للدين الذي هو تحريف لمفهوم العبودية والإله وأنَّ الإنسان عبد، بل تحريف للإنسان حتى كإنسان. هذه الحضارة للأسف عندما تنظر لها؛ فكرة حضارة التقدُّم لديهم، أو فكرة السعادة أو حضارة البهجة أو التطورات التي تحصل في الإنسان هي تَمْسَخ الإنسان، فالإنسان يتحول لمجرد مسخ، حتى الإنسان كإنسان سوي كفطرة سوية يُمْسخ –لا أحب مثل هذا الكلام في المسجد– مثلًا قضية الشذوذ، عندما ينتشر هذا الأمر ويُقَنَّن ويُمْنع الكلام فيه، ويُجَرَّم الذي يتكلم عنه مجرد الكلام، يُجَرَّم لدرجة أنَّ بعض العيادات النفسية هناك عندما تحاول أن تقول إننا نُقدّم علاج للذي يريد أن يعود طبيعيًّا؛ يقول لك إنك من المفترض أن تعترف بأن الشذوذ طبيعيًا ولا تقل ذلك، انتكاس في الفطرة بصورة عجيبة جدًا.

شعيب الأرنؤوط (ت ١٤٣٨)، تخريج سنن أبي داود ٥٤٣ • ضعيف بهذا السياق • "إن الله وملائكته يصلون على الذين يلون الصفوف الأول" [روي] بإسناد صحيح. • "ما من خطوة ... " شاهد

هناك انهيار في قيمة الإنسان كإنسان أصلًا، الإنسان أصبح مجرد مادة، أصبح مجرد عدد ساعات وظيفية، أصبح مجرد ورقة يُحَصّلها أو دَخْل يأتي به، هذه قيمة الإنسان، فالإنسان نفسه فقد قيمته. وكمّ الكتب التي كُتبت منهم قبل أن تكون منّا عن خطورة هذا الأمر كثيرة جدًا، بمعنى أنَّ الإنسان لم يعد إنسانًا أصلًا ﴿وَلَقَد كَرَّمنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾[الإسراء ٧٠] الإنسان فقد هذا التكريم أصلًا، فقد نفخة من روح الله سبحانه وتعالى، فقد هذه الروح وأصبح مجرد إنسان طيني أشبه بالأنعام، ما هو الفارق بين الإنسان والأنعام؟ الله سبحانه وتعالى كرَّم الإنسان، نفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته، فعندما تتخلى عن الارتباط بهذه النفخة العُلْوية بالروح، بالوحي النازل من السماء، أصبح مجرد طين، فالإنسان عندما تُنزَع منه الروح يُدفَن في الطين؛ لأنه خُلق من الطين، كل تفكيره أصبح تفكير طيني مجرد شهوات يُحَصّلها فحسب.

فالإشكال أيضًا أنَّ في ظل انهزامنا المادي هذا وتَأخُّرنا وتَفَرُّقنا؛ الحضارات الأخرى تحارب الدين وليست تحارب الدين فقط بل تحارب الإنسان كإنسان، تحارب الفطرة، نحن نخجل من أن نتكلم عن كمية الشهوات المنتشرة والأمر لم يصل إلى انتكاس الفطرة، لا بل الأمر تجاوز هذا كثيرًا، مهما وصفنا –وكما ذكرت– هم أنفسهم كتبوا أنَّ الخوف على الإنسان؛ أنه لم يعد إنسانًا وأنهم يحتاجون أي شيء؛ لذلك بدأ في أماكن كثيرة في الغرب البحث عن أي زاد للدين، فبدأ يحدث اتجاه أن يذهبوا للحضارات الشرقية؛ للبوذية لمسألة التأمل؛ لأنهم فاقدين أي شيء للروح، فبدأ –بالرغم من انتشار الإلحاد– لأنهم يريدون أي غذاء للروح فبدأوا يبحثون عن غذاء الروح في الديانات الهندية مثلًا؛ لأنها تغذي الروح بعيدًا عن التدخُّل –هم يعتقدون ذلك– أنها تغذي الروح بعيدًا عن التدخُّل في تفاصيل الحياة، هم لا يريدون لأحد سواهم أن يحكم تفاصيل حياتهم، لا تقل لي وَحي، لا تقل لي هناك دين هو الذي يحكم.

هاتان المقدمتان؛ تأخُّر الأُمّة الإسلامية وتفرُّقها مع أنَّ الإنسان كإنسان أو المسلم كصاحب دين؛ كل قِيَمة يتم تحريفها ويُحارَب وهو يُمسَخ لم يعد له هُوية، لم يعد يستطيع أن يُعرِّف نفسه كمسلم. عندما كان يذهب الصحابي يقابل حضارة أخرى يقولون له: من أنتم؟ ماذا تريدون؟ كان يُعرّف نفسه، كان يستطيع أن يُجيب إجابات محددة، هو يُوَصّف نفسه: "نحن قوم ابتعثنا الله لنخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة". هو يعلم جيدًا توصيف نفسه، يعلم توصيف نفسه كمسلم، كعبد، كإصلاح في المجتمع، كإصلاح في العالم، هو يستطيع أن يُوَصّف نفسه جيدًا.

أنت كمسلم لا تستطيع أن تصف نفسك، أنت مفتقد لهذا التوصيف، ما هي انتماءاتك؟ من الممكن أن تُعرّف نفسك حسب وظيفتك طبيب؛ هذه وظيفتك، وزوج، هذا وحسب؟ وأب، حسنٌ، أين توصيفك الديني، انتماءك الديني؟ عندما تُسْأل في القبر، هناك أسئلة سَتُسْأَلها، القدوة والانتماء؛ مَن نَبيُّك؟ وما دينك؟، مَنْ قدوتك؟ ولأي دين كنت تنتمي؟ سَتُسَأل عن هذا، فبماذا تُعرِّف نفسك كمسلم؟

في ظل الانهزام الذي تعيش فيه الأُمّة، هو مجرد تابع، هو مسلم يُقلّد، كما قلنا التقليد وصل لكل شيء، في الملبس، في الشكل، في تصفيف وهيئة الشعر، في كل التفاصيل، وفي الكلام.

أمس كنت مع أحد إخواني في مطعم أو أشبه بمطعم نشرب شيئًا، تنظر في تفاصيل المكان كله لا يُمْكِن أن يظن أحد أنَّ هذا في دولة مسلمة، لا أتكلم في الحلال والحرام، أتكلم في التفاصيل، الكلام الذي على الحائط كله بالإنجليزية، الأشكال والثقافات، والرسومات وشكل الزجاج، كل شيء يأخذ نمطًا غربيًّا، كله بلا استثناء، لا يوجد مَعْلم واحد من المعالم الموجودة يدل أنك في دولة ليس فقط إسلامية، بل يدل حتى أنك في دولة عربية، كيف هذا؟! الجالسون كلهم مسلمون عرب، المكان ضيق فكلنا حوالي ستة في المكان، النظام يلزمه أن يشغل أغاني، ونحن الستة ليس لدينا مانع أن يقوم بتشغيل قرآن، لكن هكذا النظام! مَن وضع هذا النظام؟

أصبحت مُجبرًا أن تعيش ثقافة غير ثقافتك وأنَّ هذا أفضل شيء، تسير في الشوارع نادرًا ما تجد اسم المحل اسمًا عربيًا، ممكن إذا أحب شخص فعلها –أي يجعل اسم المحل بالعربية– ليس اعتزازًا بلغته بل كنوع من الاختلاف، كنوع من التنويع، أن يكون مختلفًا؛ لأن جميع المحلات بالإنجليزية فيريد اسمًا مختلفًا قليلًا فيجعله باللغة العربية، لكي يكون اسمًا مختلفًا جذابًا، ليس حتى اعتزازًا بلغته العربية. فتخيّل أُمّة فقدت حتى لغتها، ومعروف أنَّ من عوامل انهيار أي أُمّة أنَّ لغتها تنهار.

فالشاهد؛ هاتان المقدمتان دائمًا ينشغل بهما من يبحث عن إصلاح الناس، وخاصة إصلاح أعمدة المجتمع: **الشباب**، عندما يكون هناك طائفة كبيرة منهم أو كتلة كبيرة منهم –من الشباب– يحمل هذا الهم؛ بفضل الله يحدث تغيير.

فهذه من القضايا اللي تشغل الإنسان كيف نقاوم هذا التجريف؟ كيف يمكن للشخص منذ ولادته وإلى أن يكبُر ويعمل ويتزوج ويُنجب لا يمر على أُسس الدين؟! الدين يُعْرض له قضايا هامشية جزئية بسيطة

جدًا، هذا إذا مَرّ عليها من خلال التعليم أو من خلال برنامج في حلقة فضائية سمعها أو من خلال مقطع رآه على مواقع التواصل الاجتماعي، أو من خلال صديق أرسل له رسالة، هذه هي مصادر الدين عنده.

المشكلة أنَّ **الهجوم قوي والمناعة ضعيفة**، الهجوم من الأمم التي تحاربك متقدمة دُنيويًا، عندها أدوات قوية للتجريف تسيطر على الإعلام، الهجوم قوي جدًا، والمناعة في قمة الضعف، بل لا توجد مناعة أصلًا، لا توجد مقاومة، عندما يسير المرء ويرى كَمّ الشباب... -وبطبيعة عملي في الجامعة- أرى كَمّ الشباب المهول، ماذا يفعل؟! حتى دينيًا ودُنيويًا، هو أحيانًا يكون فقد الأمل أصلًا، هو يعيش مرحلة معينة إلى أن يتخرج من الجامعة ويصطدم بالواقع المر، لكن الشاهد؛ هُويته هو كمسلم أين؟ فهذا التجريف الحاصل تلزم له مقاومة.

فالسؤال هُنا أصبح: **ما دور القرآن في هذا؟**، كل شخص يسأل هذه المشكلة الضخمة ما هو دور القرآن في حلِّها؟ ما هو دور القرآن في مقاومة هذا التجريف أو المسخ أو عدم الشعور بالانتماء أو عدم الشعور بالهُوية؟ ما هو دور القرآن في هذا الإشكال الكبير؟

- **أولًا**: من نعمة الله على هذه الأُمّة؛ أنه حفظ لها كتابها؛ الوحي ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾[الحجر ٩] فنحن أمة لها كتاب محفوظ، وهذا لا يوجد عند أي أُمّة من الأُمم.

الآن؛ نتكلم الآن في هذه اللحظة بالرغم من قمة التفرُّق والتخلُّف الدُنيوي الذي نحن فيه وتكلَّمنا بإشارة سريعة عنه، إلا أنَّ الأُمّة تمتلك ما ليس عند غيرها، لا بد أن تكون موقنًا بهذا، نحن ((حضارةُ النَّص))، نحن حضارة ابْتُعِثَت للحياة من خلال نص نزل إليها من السماء، نحن أُمّة ابْتُعِثَت بعد أن كانت مُبعثرة، بعد أن كانت لا شيء -كانت هناك حضارة رومانية وحضارة فارسية- والعرب كانوا بعض القبائل متفرقين في الصحراء، ابْتُعِثَت بـ ﴿ٱقْرَأْ﴾[العلق ١] بنصٍ نزل لها، بوحي، وبنموذج طبَّقه النبي ﷺ فكان خُلُقَه القرآن.

حدثت القومة لهذه الأُمّة، حدثت البعثة لهذه الأُمّة، بعد أن كانت أُمّة متفرقة تظل الحرب بينها لسنوات لأجل ناقة، أُمّة مُنهارة أخلاقيًا ليس لها دستور تتحاكم إليه، القوة هي المعيار الوحيد الذي بينها، ابْتُعِثَت من خلال النَّص، هذا النَّص الذي بعثَ الأُمّة في أول أمرها موجود الآن، هذا الأمل أنَّ هذا

الوحي موجود كما هو، محفوظ، فهذه الحضارة التي قامت لأول مرة؛ حضارة النَّص، حضارة الإسلام هذا النَّص الذي هو فضل من الله سبحانه وتعالى ولا بد أن تفرح لذلك ﴿قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ﴾[يونس ٥٨].

فامتلاك هذا النَّص هو نقطة البداية التي كانت نقطة البداية الأولى، ونقطة البداية لأي قومة، لأي بعثة، فأنت الآن تشعر بحالة أشبه بحالة إغماء لا نقول موات؛ لأن هذه الأُمّة لم تمت ولن تموت، ولا بد أن تفهم الأُمّة ذلك؛ أنها لن تموت، لا بد أن تفهم الأُمّة وشبابها الذين هم عبارة عن أفراد؛ أنها لم تمت، وأنَّ بقدرتها بإذن الله أن تستعيد القوة، أنَّ هناك روح تُبَث فيها مرة أخرى، تُشعِر هذه الأُمّة أنَّ عندها ما ليس عند غيرها، **أنها تمتلك نص من السماء، تمتلك وحي**.

العالم كله بدون وحي من السماء، وبدون دستور ينزل لها من السماء؛ مُتَخَبِّط، لماذا؟ لأن أي شيء ممكن بدون نص، بدون كلام عُلوي فنحن كبشر تتنازع إراداتنا، فأنا لي إرادة وأنت لك إرادة، أنا عندي شهوة وأنت لك شهوة، فلو لم يوجد أحد يحكمنا، لو لم يوجد كلام عُلوي من فوقنا؛ إذًا كل شخص سيسير وِفق إرادته، فشخصٌ ما له شهوة معينة يقول إنه لا يوجد بها مشكلة، وآخر يريد أن يفرض مثلًا على الأطفال الذين وُلِدوا بنوع من الإعاقة أن يُقتلوا، وعلى الرجال الذين تخطُّوا سن معين من الإنتاج الذي يفيد الدولة أن يُقتلوا، بل ويُشَرعن هذا، ويصبح الأمر عاديًا، من الممكن أن يصل أحدٌ لهذا، وما أقوله هذا قد قيل بالفعل، قد نجد أنَّ أحدهم يرى أنَّ الزنا لا يوجد فيه إشكال، وبعد فترة يرى أنَّ الاغتصاب لا يوجد فيه إشكال. حتى الستينيات حتى عام ١٩٦٠ تقريبًا لم تكن الحضارة الغربية بهذا السوء في انتشار الشهوات، وإن كانت قبلها مرت بتفاصيل كثيرة فيها انهيار أخلاقي، لكن لم يكن أحد يتخيل تعميم الفساد بهذه الصورة، بل وتقنينه –ليس فقط تعميم– وأن تُمنع من أن تنتقد مسائل في الشذوذ، حتى أنه قد يكون من سياسات (الفيس بوك)؛ المنع من انتقاد هذا أصلًا!

فهل تتخيل إلى أي مدى يمكن أن يصل هذا التقنين؟ أن تُمنع من الانتقاد! وحتى على مستوى تطبيق (الواتس اب) على مستوى الملصقات والوجوه التعبيرية الموجودة يقوم بإضافة هذا، فيضيف الشذوذ حتى في الوجوه التعبيرية الموجودة عندك في تطبيق (الواتس اب)، ويتم إقرار هذا عالميًا. هل تستطيع تخيُّل مدى التجريف الذي يحدث على مستوى العالم، وكيف يقومون بتصدير ثقافتهم، ونحن نتلقى!

فما هو دور القرآن في هذه البعثة؟ هذا السؤال يشغل الإنسان ما هو دور القرآن؟

أولًا: ما هو دور القرآن في الدين؟

والإجابات قد تختلف هُنا حسب تخصص الشخص. مثلًا: إذا كان الذي سيُجيب عن هذا السؤال فقيه أو أصولي –في أصول الفقه أو الفقه– سيقول لك إنَّ القرآن هو المصدر الأول من مصادر التشريع، وأصول الفقه عبارة عن أدلة، وكيفية التعامل مع هذه الأدلة، وهذه الأدلة تصل إلى أحد عشر أو اثني عشر دليلًا، أَوَّلها هو القرآن، فبالتالي يُكلّمك عن القرآن على أنه الدليل الأول والحجة الأولى، وبعدها كيفية التعامل مع هذا الدليل؛ مسألة النسخ، مسألة العموم والخصوص، والمطلق والمقيد. الفقيه يتحدث هُنا عن دور القرآن في التشريع، في الأحكام التشريعية، والأصولي الأول يتحدث عنه باعتباره دليل.

ولو شخص من أهل اللغة وأهل البلاغة والبيان سيقول لك: هذا أعلى درجات الإعجاز البياني، فيتعامل مع القرآن على أنه في أعلى درجات الإعجاز اللُّغوي، ويتناول القرآن تناولًا بيانيًا.

ثم شخص في مجال التفسير يقول إنَّ دورنا تجاه القرآن أن نفهم الكلمات والتراكيب اللُّغوية، ونفهم المعنى.

وفي كل العلوم، فكل علوم الشريعة تحتاج إلى القرآن، حتى خارج العلوم الشرعية، في العلوم الدُنيوية تجد أنَّ شخصًا يُقدِّم بحثًا عن الإدارة من خلال الجزء الثامن والعشرين، أو الإدارة من خلال سورة يوسُف، أو علم الاجتماع من خلال سورة النساء، أو إعطاء الحقوق من خلال السبع الطُوال. وتجد أبحاثًا كثيرة ولا سيما أبحاث الماجستير والدكتوراه، أو الأبحاث المفتوحة التي تستخرج أنَّ دور القرآن ليس فقط في العلوم الشرعية، بل دور القرآن في العلوم الدُنيوية أيضًا.

كل الذي قلته عن دور القرآن نافع ومهم جدًا، ونحتاج إليه ولا سيما أهل التخصص يحتاجون إليه، لكنني لا أتكلم عن هذا، أنا أتكلم **عن احتياج عموم المؤمنين للقرآن**، بمعنى؛ لماذا نحن مطالبون بقراءة القرآن، وحفظه، والاستماع إليه، وتكراره، وأن يكون لك وِرد، ويُتلى على مسامع الناس في التراويح وفي قيام الليل، لماذا نرجع للقرآن كثيرًا؟

فلو كان الأمر مقتصرًا على الحكم الفقهي فالفقيه يمكنه الرجوع للقرآن، ولو على المعنى البلاغي فاللُّغوي يرجع للقرآن أو النَّحوي يرجع للقرآن، لكن لماذا عموم المؤمنين مطالبون بالتعرُّض للكم الكبير للقرآن؟

لماذا تستمع ثلاث مرات من أصل خمس صلوات للإمام جهريًّا وهو يقرأ القرآن في صلاة الفجر والمغرب والعشاء؟ وفي الصلوات السرية أنت تقرأ القرآن، ولك وِرْد يُستحب أن تختم المصحف في شهر، وتستمع للقرآن في التراويح وفي قيام الليل، وتقرأ القرآن. لماذا القرآن تحديدًا وليس أي شيء آخر أنت تتعرض له بهذا التكرار الضخم؟ بالتأكيد هناك معنى وهذا الذي نحاول الوصول إليه، بل هناك معانٍ كثيرة قد يُفتح للناس فيها.

المعنى الذي أريد أن أتكلم عنه اليوم معنى خطير ومهم، معنى كُلي ضخم ليس جزئيًا -مع احتياجنا للمعاني الجزئية كأحكام شرعية أو أخلاقيات أو آداب أو تفاصيل دُنيوية تُستخرج من القرآن- لكن من الواضح أنَّ هناك معنى لتَعَرُّض الأُمّة كأُمّة للقرآن بهذا الكَم. فعندما ترى الأفعال التي تُطالب أن تفعلها تجاه القرآن؛ قراءة، واستماع، وإنصات، ويكون لك ورد، وتصلي به، وتحفظه، وتُحَسِّن النُّطق، وتفهمه وتبسطه وتشرحه للناس، كل ما يمكن أن تفعله مع القرآن تفعله، كل الذي تستطيع أن تفعله مع القرآن افعله.

أكثر نص خُدم هو القرآن، وتجد كمية الكتب التي أُلِّفت حول القرآن تفسيرًا وأصولًا وعلومًا -علوم القرآن- ضخمة جدًا، لدينا مكتبة ضخمة نُباهي بها العالم. هذا الاهتمام تجاه القرآن بالتأكيد وراءه سبب، فعموم المسلمون يتعرضون له؛ الإمام يقرأ عليك القرآن في المغرب والعشاء والفجر يوميًا، وأنت يُستحب أن يكون لك ورد تقرأه يوميًا، هناك معنى من أننا نتعرَّض تكرارًا للقرآن.

ولكي أوّضح المعنى الذي أريد أن أوصله: تخيَّل -مع الفارق الرهيب في التشبيه- تخيَّل أنَّ هناك مثلًا قصة أو رواية أو فيلمًا أنت مُطالَب أن تشاهده أُسبوعيًا، هو نفس الفيلم أو نفس الرواية لم تتغير، أي لم يحصل لها تحديث، فالقرآن لدينا لا نقوم بتحديثه، فلا يوجد مَجْمَعًا نجتمع فيه وبعدها نقرر أنَّ هذا الجزء يُحذف ونضيف ولا يوجد عندنا اختلافات، مثل البروتستانت والأرثوذكس والكاثوليك، هم عندهم اختلاف في عدد الأسفار، قد يصل الاختلاف إلى ثلاثة عشر سِفرًا غير موجودين، أما نحن ليس لدينا أي من هذا.

فتخيل أنك مُطالَب أن تقرأ رواية أو قصة أو تشاهد مسلسلًا أو فيلمًا أسبوعيًا أو شهريًا على مدار عمرك، لو أنَّ أحدهم طالبك بهذا، ستقول له: لماذا؟ فمن الواضح أنَّ هناك رسائل واضحة ورسائل خفية تصل لك في كل مرة تقرأ الرواية، وتُرَسِّخ داخلك معاني. فمثلًا عندما تقرأ رواية ١٩٨٤، هذه

الرواية تقوم بإيصال معنى معين لك، وتُعرِّفك كيف يتم السيطرة على عقول الناس بصورة معينة. ومن الكتب الرائعة كتاب "الإعلام وصناعة الواقع"، وأشهر مَن كَتَبَ في هذا الموضوع "لوبون" في كتابه "سيكولوجية الجماهير"، وتكلّم أنَّ من أخطر الوسائل أنَّ عموم الناس ينصرون قضية واحدة بثلاثة أمور: التأكيد، وبعدها التكرار، الثالثة هي العدوى –لها شرح طويل ليس هذا مجاله– لكن أتكلم على مسألة التأكيد والتكرار، تكرار معنى وصورة معينة على عموم الناس يصنع داخلهم انتماءً معينًا، هو نفس المعنى، لا يوجد جديد، بنفس الأدوات، أنت رؤيتك لنفس الإعلان أكثر من مرة يجعلك تحفظه وتكرر كلماته أثناء سيرك، وعندما تَلمح المنتج؛ تلقائيًا تريد أن تحصل عليه حتى لو لم تكن بحاجة إليه. وهناك كثير من الدراسات ترصد كيف أنَّ هذا التكرار يصنع داخلك –عندما تتعرَّض لتكرار معين– سعادة عندما تقتني المنتج حتى لو أنك لا تحتاج إليه، طبعًا هذا بالنسبة لأهل الدنيا.

الله سبحانه وتعالى حينما أنزل هذا الوحي وأمر أن يُتلى، ومن أهم وظائف النبي ﷺ ﴿يَتلُوا عَلَيهِم ءَايَٰتِهِۦ﴾[٣] هذه وظيفة نبوية؛ تلاوة الآيات على الناس وظيفة من وظائف النبي صلى الله عليه وسلم وبالتالي من أراد أن يسير على درب النبي ﷺ.

إذًا؛ هناك معنى وهدف وراء تعرُّضنا للقرآن بهذا التكرار. هناك معنى كبير يحدث لنا حتى لو لم ننتبه له. لكن هذا الكلام للذين ﴿يَتلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾[البقرة ١٢١]، فالذين يقرأون القرآن بشكل صحيح يحصل داخلهم تغيير وهم لا يشعرون، وهذا ما حدث مع الصحابة؛ تغيير في كل شيء، **إعادة ضبط**.

الإنسان يولد على الفطرة السليمة، كلما يكبُر الإنسان –ودعونا نتكلم عن الوضع الذي نعيش فيه– يحدث له نوع من التشويه في العقل، وتشويه في طريقة التفكير، تشويه في الفطرة، تشويه في المشاعر، تشويه في الحب والكره، تشويه في الذوق بمعنى طريقة تقييمه للأمور، كل هذا يحدث فيه تغيير، فيأتي القرآن ليقوم بإعادة ضبط لكل هذا، يجعله يفكر تفكيرًا سليمًا كمسلم، يفكر تفكيرًا شرعيًا سليمًا. إذا تعرَّضت للقرآن بشكل صحيح يقوم بإعادة ضبط لك، فتقبل الأحكام التشريعية بكل سلاسة، لا تشعر بأنَّ فيها مشكلة. القرآن بعيدك للعبودية مرة أخرى، **أنت عبد**. كيف يفعل القرآن هذا؟ سأتكلم عن هذا سريعًا.

[٣] ذكرت هذه الآية في [آل عمران ١٦٤] و[الجمعة ٢].

إذًا القرآن نتعرَّض له بصورة فيها نوع من التكرار، وكما قلت لك إذا أردتَ أن تتخيل الصورة بنوع من الوضوح تخيَّل أنَّ هناك قصة تقرأها أسبوعيًا، تجد مشاعرك أصبحت تشبه مشاعر القصة، تجد ذوقك موافقًا لذوق الأبطال الذين تصدَّروا على أنهم أبطال في القصة، كانوا يكرهون أشياء أصبحتَ تلقائيًا تكرهها؛ لأنهم الأبطال، وما تم توصيفه في القصة أنه جريمة أصبحتَ تلقائيًا تُصنّفه على أنه جريمة، وما صُنف -في القصة أو الرواية التي أصبحت عالمية وكل الناس يقرؤونها- ما صُنف على أنه خير يصبح داخلك هو الخير، وما صُنف أنه شر يصبح داخلك شرًّا، وأنَّ هذا العدل فهو العدل إذًا، أصبحت تتلقى القِيَم من الشيء الذي تتعرَّض له بتكرار.

هل تعلمون ماذا يفعل القرآن تحديدًا؟ الجسم عبارة عن خلايا، والخلايا فيها أنوية -جمع نواة- والنواة داخلها الحمض النووي (DNA)، هذا الحمض النووي بتقدير من الله سبحانه هو الذي يحدد شكلك وصفاتك، إذا أراد أحد أن يُغيّر في الصفات من الممكن أن يقوم بطفرة في هذا الحمض النووي. **القرآن يُغيّر في الحمض النووي الخاص بك**، الخاص بروحك -إن صح التعبير- القرآن يُغَيّر في الأصول لو تعرَّضت له بشكل صحيح كمجمل، أنا لا أتكلم الآن على التعامل الجزئي مع القرآن -وهو نافع- قراءة القرآن قراءة فقهية، قراءة عقدية، قراءة لُغوية، كل هذا مهم جدًا في بابه. لكن مجموع القراءات هذه وتعرُّض عموم المسلمين للقرآن؛ أي مسلم يقرأ القرآن، والكتاب الذي تستطيع أن تقول للمسلمين أن يقرأوه يوميًا هو القرآن، والكتاب الذي له القداسة في قلوب عموم المؤمنين هو القرآن، الكتاب الذي يوجد إجماع عليه هو القرآن، فهذا هو المنطلق الذي يفترض أن تبدأ منه. هذا القرآن أيقظ أُمّة من قبل، لماذا لا يفعل معنا هذا؟ لماذا لا يوقظنا نحن؟إذًا هناك دور للقرآن غائب في حياتنا.

كثرة التعرُّض لقَصص القرآن، والأمثلة القرآنية، والحقائق القرآنية، والعقائد القرآنية، والأحكام القرآنية، والأخلاق القرآنية، كثرة التعرُّض لهذا ستعيد تشكيلك، إذا سلَّمت نفسك للقرآن وأقبلت عليه، كما يُروى في الأثر عن ابن مسعود "دُر مع القرآن حيث دار" إذا أقبلت وأنت قابل للتَّشَكُّل، تركت نفسك تتشكل مع القرآن.

أعطيكم مثالًا: هناك مفاهيم تتعرَّض لنوع من التشويه، كما لو تكلمنا عن: الإنسان، الحداثة، المساواة، الحرية، المواطنة، التقدُّم، عمارة الأرض، السعادة، الطموح، الإنجاز، العلاقات الاجتماعية، الحب، الكره، الهدف، الغاية، معنى الحياة، صدمة الموت، اليأس، الإحباط، الدنيا، المال، الخلود، الفناء، القوة،

الضعف، كل هذه مفاهيم كإنسان، لم نتكلم بعد عن مفاهيم متعلقة بالدين: الرب، المؤمن، الفاسق، المنافق، الكافر. كل هذه المفاهيم من أين تأتي بتعريفها؟! من أين تأتي بهذه التعريفات؟

دعونا نأخذ مثالًا: من أشهر المفاهيم الموجودة الآن؛ مفهوم الإنجاز أو الفوز أو الفلاح، ومفهوم العقل يقول لك أهم شيء أن يكون الخطاب عاقلاً، تخيَّل لو أنك تستقي مفاهيمك من القرآن.

ذات مرة حضَّرتُ درسًا –لكن لم ألقه– تحت عنوان كُن عاقلًا، أريد أن أكون عاقلًا، كيف أكون عاقلًا؟ وجمعت كلمة تعقلون ويعقلون في القرآن، قم أنت بهذا الواجب واجمع كلمة لعلكم تعقلون أو يعقلون أو ﴿إِنَّ فِى ذَ لِكَ لَآيَـٰتٍ لِّقَوۡمٍ يَعۡقِلُونَ﴾[4]، اجمع كل "يعقلون" في القرآن. هذا لو كنت تستقي مفاهيمك من القرآن وتريد أن تبني شخصيتك من خلال القرآن، وتريد أن تكون الشخصية القرآنية التي لها هُوية مسلمة تقبل التشريع بكل بساطة.

عندما يقول لك أحدهم: كن عاقلًا، حسنًا ماذا تعني؟ ما مفهوم العقل؟ فمفهوم العقل عند شخص غير مفهوم العقل عند آخر، هذا من أكبر المفاهيم التي فيها خلاف حتى خلاف فلسفي، ما هو العقل أصلًا؟ قيمة القرآن أنه يتجاوز هذه الخلافات الفلسفية وينتقل بك للتطبيق، لذلك من أجمل الكلمات التي قرأتها من الذين كتبوا في تفسير التاريخ: **أنَّ الصحابة لم ينشغلوا بتفسير العالم ولكن انشغلوا بتغييره**، الصحابة لم يتكلموا في فلسفات مُعينة، نزل القرآن غيَّر فيهم أمورًا، فتحركوا تطبيقًا؛ فتغير العا لم. لتعرف مفهوم العقل: اجمع "يعقلون" وانظر في الأوامر والعقائد التي أتت مع العقل، وعكسها هذا ليس عقلًا.

فمثلًا تجد أمرًا في الصلاة وتجد معه ذكر العقل، أمر في الولاء والبراء تجد معه ذكر العقل، أمر في حقارة الدنيا وتجد أنَّ هذا هو العقل، فتخرج بمفهوم أنَّ كلمة كُن عاقلًا؛ مفهوم ضخم من خلال القرآن، مفهوم كبير أن أكون عاقلًا لكن على المستوى القرآني ليس على تعبيرات البشر أوأي أُمّة غربية أو شرقية.

[4] ذكرت هذه الآية في [الرعد ٤]، [النحل ١٢] و[الروم ٢٤].

مثال آخر: مفهوم الفلاح؛ ما معنى إنسان ناجح؟ من الذي أفلح؟ من الذي فاز؟ تقرأ القرآن فتجد مفهوم قد أفلح، المفلحون، بما صبروا، تتساءل: مَن هؤلاء؟ تنظر في صفاتهم فإذا أردت أن تكون إنسانًا ناجحًا، حقق هذه الصفات.

طوال قراءتك للقرآن أنت تتلقى مفاهيم؛ الدنيا، المال، الآخرة، الفردوس، الرب، القدرة المطلقة، المشيئة المطلقة، الحب، المشاعر، الكره، كل هذا من أين تأتي به؟ لو أنك تعرَّضت للقرآن بصورة متكررة وتركت نفسك بدون أن تفكر كيف سيحدث فيك التغيير، فليس من الضروري أن تقول: سورة المؤمنون تتكلم عن الفلاح من خلال ثلاث مستويات –وقد تكلَّمنا في الدرس السابق عن إشكالية التفكير الهندسي– بل المقصود هُنا أن تقرأ القرآن وتترك نفسك مع القرآن.

عندما يسافر شخص ما لبلاد غير مسلمة ويُفاجأ أنه في هذه البلاد يتمتع بكافة الحقوق التي يريدها هو، ثم ماذا؟ ثم لا يجد أي إقامة للشعائر الدينية، ويجد أنَّ قيمة التوحيد –لا إله إلا الله– قيمة منخفضة، فيقول لك: هذا ليس مُهمًّا، كما يقول البعض: رأيت إسلامًا بلا مسلمين!!!... أين قيمة التوحيد لديك؟! بالنسبة لقارئ القرآن هل هذه هي قيمة التوحيد؟!...أن تصبح لديه قيمة فرعية؟! هذا لا يمكن أن يكون ﴿يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾[البقرة ١٢١] مستحيل! من أكبر القِيَم المركزية في الوحي؛ قيمة التوحيد، ثُلُث القرآن ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾[الإخلاص ١].

ما هي أكثر سورة نكررها؟ سورة الفاتحة، ومن أسماء الفاتحة السبع المثاني، وقد اختلف العلماء في معنى كلمة مثاني، من الأقوال التي قيلت: المثاني بمعنى الثناء، أو الأشهر أنَّ مثاني بمعنى تُكَرَّر. سبع آيات بسبعة مفاهيم تحتاج أن تُكرّرهم على نفسك يوميًا سبعة عشر مرة، وهذه هي قيمة التكرار، في سورة الفاتحة مفاهيم: ﴿رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[الفاتحة ٢]، ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾[الفاتحة ٣]، مُلك يوم الدين، وأنك عبد تطلب من الله أن يوفقك للعبادة وتطلب الهداية، وخائف من الضلال، خائف من المغضوب عليهم ومن الضالين، هذه المعاني المحورية يجب أن تُبنى داخلك، هذه سبع مثاني، تحتاج أن تكرر هذا سبعة عشر مرة، وهذا أقل شيء للذي يصلي ويحافظ على الخمسة فروض، فما بالك بمَن يَرقي نفسه بالفاتحة ويصلي النوافل.

هناك معانٍ مركزية ستُبنى داخلك، مستحيل أن يكون شخص مدرك لمعنى ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ * صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾[الفاتحة ٦-٧] ويستحضر نموذج الصحابة، وخائف من

مصير ﴿غَيرِ ٱلمَغضُوبِ عَلَيهِم﴾؛ اليهود، ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾؛ النصارى، خائف أن يحدث له ذلك، من المستحيل أن يكرر إنسان هذه الآيات ثم يقلل من قيمة التوحيد أو من قيمة العبادة أو يقول لك: أنا لا أعرف ما وظيفتنا في الأرض؟ نحن لم نتكلم على الاستنباطات من آية ﴿وَإِذ قَالَ رَبُّكَ لِلمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلأَرضِ خَلِيفَةً﴾[البقرة ٣٠] أو على جَرد السور المكية لاستخراج مركزيات الوحي، نحن نتكلم فقط عن الفاتحة، السبع المثاني. **تعرُّضك المتكرر للقرآن يبعث فيك الروح**، وهذا ما قام به القرآن في عموم الصحابة.

هناك أناس متميزون في بعض المجالات، من الصحابة هذا عالِم في الفرائض، وهذا عالم في مسائل معينة، وهذا مجاهد، وهذا حافظ للقرآن، وهذا يُقْرِئ القرآن، وهذا عالم في التفسير، وهذا عالم في كذا، هناك ثغور مُوزَّعة. لكن عموم المسلمين عندهم معنى عام، من أين حصلوا على هذا المعنى؟ من خلال التعرُّض الدائم للوحي. هناك تفاصيل قد تغيب، وكان من الممكن أن يغيب عن بعض كبار الصحابة فقه مسألة ما، مثل عمر بن الخطاب رضي الله عنه أو الصدِّيق، ربما تغيب عنه مسألة في المواريث ويكون الأعلم بها زيد مثلًا أو معاذ بن جبل يأتي يسبق العلماء يوم القيامة رميةً بحجر، أعلم الصحابة معاذ بن جبل، وهناك أناس متميزة في إقراء القرآن مثل ابن مسعود.

لكن عموم المؤمنين كان يتلقى روح معينة، له انتماء معين، وهناك أثر -لكن أرجو ألا يفهمه الناس بشكل خاطئ خاصةً مع انتشار الطعن في السنة- عمر بن الخطاب رضي الله عنه فيما يُروى عنه في أثناء السير في الفتوحات مرُّوا على قرية مسلمة، لهم بالقرآن دَويّ كدَويّ النحل، فبدأ الناس يُحدِّثونهم في تفاصيل دينية أخرى ويخبرونهم ببعض الأحاديث، فقال عمر: لا تشغلوهم، اتركوهم يركزون في هذا الأمر. وسيدنا عمر هو أكبر مَن نَصَر السنة، لكن المقصد هُنا؛ أنَّ هناك معانٍ معينة يجب أن تُعَمَّم على عموم المسلمين، هذا خطاب عام.

هذه هي خطورة إشغال عموم المؤمنين بقضايا خلافية، خاصة!... مثل الصراعات بين بعض الأفاضل التي نراها الآن على مواقع التواصل الاجتماعي؛ بعض الأفاضل على (الفيسبوك) مثلًا يناقشون مسألة من المسائل التي من المفترض أن يكون محلّها النقاش في الأروقة العلمية والكتب، وهذه المسألة لا يصح أن تُصدَّر لعموم الناس ولا يصح أن يشاركوا فيها ولا في تلك الخلافات، فهم ليس لهم علاقة بها أصلًا.

عموم المسلمين يجب أن يتلقوا معاني ضخمة في العبودية، وفي مركزية الدار الآخرة في حياتهم، وفي كونهم مسلمين، وفي دينهم، وقيمة دينهم بالنسبة لهم، ومعنى أن يكونوا عباد الله، والمعاني التي كررها القرآن، والمثاني التي تكررت في القرآن، المفترض أن يتلقوا تلك المعاني وتُكرَّر عليهم؛ لذلك من السور التي تُسمَع كثيرًا في الصلاة؛ السور المفصَّل فيها ذكر الجنة والنار؛ فعندما تسمع عن الجنة والنار يقل حجم الدنيا بالنسبة لك، أنت مُطالَب أن تسمع كثيرًا عن الجنة والنار.

ذكرتُ هذا في وسط سلسلة الإشكاليات؛ لأنني أرى أن أكبر مشكلة **أن عقولنا وأذواقنا وفطرتنا غُيرت**، عندما تتكلم في قضايا المرأة، تجد ممانعة، وتجد بعض النساء الأخوات ممانعات! تتكلم في مسألة الجمع بين الدين والدنيا فتجد كثيرًا ممن يدَّعون أنهم ملتزمون ممانعون للكلام؛ يقول لك هذا الكلام خاطئ –أنا لا أعترض على أنه من الممكن أن يوجد طرح خاطئ فيُنقَد– لكن عندما تأتي بنصوص من الكتاب والسنة ولا يقبل الشخص –الذي يدّعي أنه ملتزم– تلك النصوص؛ لأن ذوقه تغير، وطريقة تفكيره في الحياة تغيرت؛ غيّرت كلمة (المساواة) وكلمة (الحرية) غيّرت مفاهيمه، وغيّرت في الفطرة أصلًا؛ فأصبح غير قابل أن يصبح عبدًا، ولا يقبل مبدأ أنَّ المال الذي معه هو مال الله يحكم فيه ما يشاء؛ **فيُرجِعُه القرآن ويعيد ضبطه ليفكر كمسلم**.

أنت الآن تفكر بخيالاتك، حين يبدأ الطفل بالتعرُّض لأفلام الكارتون من قنوات مثل سبيستون وغيرها، ويتعرَّض للثقافة الثانية –غير المسلمة– منذ صغره ويكبر على أفكارهم، فتتغير أفكاره ويصبح لا يفكر كمسلم، فعندما يريد مثلًا أن يصبح بطلًا يفكر في أن يكون مثل راعي البقر، أو الرجل العنكبوت، أو يصبح الرجل الخفاش مثلًا؛ انظر كيف أنه عندما يحب الطفل تصوير نفسه على أنه بطل لا يتخيل مثلًا أنه خالد بن الوليد! لا يأتي على باله أصلًا؛ لأنه لم يتلقَ هذه القدوات!

فتعرُّضنا المتكرر للقرآن يعيد صياغة هذا، ويعيد ضبط تلك المفاهيم، ويحل كثيرًا من النقاشات والمشاكل، وهناك مقال رائع لا أملّ فعلًا من قراءته وأنصحكم أن تقرأوه كثيرًا؛ مقال إبراهيم السكران، اسمه (**تطويل الطريق**)، مقال ممتع، وقد قال في ختام المقال "أعطني ختمة واحدة بتجرُّد" –يتكلم عن الانهزام الفكري، وسُلطة الثقافة الغالبة، وأنَّ هناك حلولاً فكرية لكي نحافظ على الشباب–.

فكل فترة وارد أنَّ والد أو والدة يتصل بي ويقول: "ابني يقول إنه ألحد أو ابنتي تقول إنها ألحدت، ماذا أفعل معها؟" هذا سؤال أصبح للأسف متكرر كثيرًا؛ "ابنتي في كلية كذا وألحدت"، إلحادهم يعني أنه لا توجد قِيَم ثابتة، فتوقع أن تقوم البنت أو يقوم الابن بعمل أي شيء، وخاصة في مرحلة الشباب؛ لأنه لا توجد موانع، لا توجد قِيَم، هو ثائر على المجتمع ولا توجد قِيَم شرعية تضبطه، فمن الممكن أن يفعل أي شيء، فعلًا؛ يصبح الأب منهارًا هو والأم، فمن الممكن أن يضيع الابن في وسط هذا التجريف وأنت تحتاج إلى ما يقاومه؛ لأن المناعة ضعيفة جدًا فتحتاج مقاومة له، فيقول إبراهيم السكران في ختام المقال: "**أعطني ختمة واحدة بتجرُّد**"؛ إذا كنت تريد منتجًا جيدًا وبدايات إسلام جيدة، فالحل في "ختمة واحدة بتجرُّد".

وقد تكلّمتُ سابقًا في درس أنماط الدين المعاصر الجزء الثاني عن قيمة كلام إبراهيم السكران؛ وأنه وصل إلى آخر طريق الكتب الفكرية وقرأها بلغتها الإنجليزية، ومن يقرأ كتابه (التأويل الحداثي للتراث)؛ يعلم مدى إتقانه لكلام المستشرقين، فعندما يكتب "أعطني ختمة واحدة بتجرُّد" يجب أن تعلم أنَّ الحل في القرآن بالفعل، ونحن نرفضه ونصمم أن نعالج الإشكال الموجود لدى عموم الشباب معالجة فكرية معينة، بينما القرآن هو الذي يصنع المناعة ضد أفكار المستشرقين؛ مثلًا عندما يقترح أحدًا عمل درس عن إشكاليات الجمع بين الدين والدنيا، وأخت تقول نريد درسًا عن إشكالية الخطاب النسوي المعاصر وتَصوُّر الإسلام عن المرأة، وأنه أصبح هناك تضارب بين كل هذه الإشكاليات؛ من أسباب تلك الإشكاليات أنَّ الشاب أو الفتاة يحتاجون إلى إعادة ضبط؛ يفكر كمسلم، فبالتالي يتلقون الأمور ببساطة، وهذا يحققه التعرُّض المتكرر للقرآن.

- فتحنا الفاتحة وقلنا إنها السبع المثاني، بمعنى أنها المعاني التي تتكرر.
- سورة البقرة، عندما تقرأ سورة البقرة تُفاجَأ بأن أُمّة كاملة استُبدِلَت –بنو إسرائيل– لأنها كانت أُمّة تراوغ مع الشريعة، تبدأ السورة من لحظة مهيبة يقول الله عزَّ وجل فيها للملائكة ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلأَرضِ خَلِيفَةً﴾[البقرة ٣٠] الله عزَّ وجل يقول علينا خليفة! عندما تساءلَت الملائكة عن السبب ﴿قَالُوٓا أَتَجعَلُ فِيهَا مَن يُفسِدُ فِيهَا وَيَسفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحنُ نُسَبِّحُ بِحَمدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعلَمُ مَا لَا تَعلَمُونَ﴾، أي سيَخرُج منهم مَن يقوم بطاعات لا تستطيعونها، هذا معناه أنه من الممكن أن أكون أنا هذا الشخص؟! وكيف أكون هذا الشخص؟ لا تكُن مثل الأُمّة التي انحرفت وكانت تراوغ –أُمّة بني إسرائيل– وكانت تُبدِّل، وكانت تُغيِّر، وكانت تُحرِّف، وكانت تُأوِّل، وكانت

تتكاسل، فمثلًا سُميت سورة البقرة باسم الأمر الذي طبقوه، كان من المتوقع مثلًا أن تُسمى السورة؛ أصحاب السبت على اسم الجريمة الكبيرة التي قاموا بها –أنهم راوغوا وبدَّلوا–؛ ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا قَولًا﴾[البقرة ٥٩]؛ فنُسمّيها جريمة التبديل، لكن حتى الأمر الذي طبقوه كانوا متكاسلين في تطبيقه، وهذه الطريقة في التعامل مع الشريعة مرفوضة؛ لأن الطريقة الصحيحة هي ﴿سَمِعنَا وَأَطَعنَا﴾[٥]، تأتي آيات تحويل القبلة بعد ذلك، فتجد أنَّ القبلة لم تعد تجاه المسجد الأقصى بل أصبحت الكعبة هي القبلة، فما معنى هذا؟ معناه أننا استلمنا راية الخلافة؟ وأنَّ الأُمّة الإسلامية الآن هي المسؤولة عن تغيير العالم؟ لقوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلفُرقَانَ عَلَىٰ عَبدِهِۦ لِيَكُونَ لِلعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾[الفرقان ١].

تأتي بعدها آيات غريبة جدًا؛ تأتي آيات قصاص، ثم تليها آيات وصية في المال، ثم تليها آيات صيام، تليها آيات المال في التجارة، ثم آيات الحج، وبعدها آيات قتال، ثم آيات حج مرة أخرى، تليها آيات قتال مرة ثانية، وبعدها آيات طلاق، وبعدها آيات في الصلاة، ثم آيات طلاق مرة أخرى، وبعدها آيات عن أُمّة تنهض –طالوت وجالوت– وبعدها آيات إنفاق، وختام هذا كله دعاء يومي يستحب لك أن تقرأه؛ الآيتين الأخيرتين من سورة البقرة، فتدعو الله قبل النوم ثم بعدها تقرأ خواتيم سورة البقرة وتكرر سمعنا وأطعنا: ﴿لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلأَرضِ ۗ وَإِن تُبدُوا مَا فِىٓ أَنفُسِكُم أَو تُخفُوهُ يُحَاسِبكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىءٍ قَدِيرٌ ۝ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلمُؤمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَينَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا سَمِعنَا وَأَطَعنَا ۖ غُفرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيكَ ٱلمَصِيرُ ۝ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفسًا إِلَّا وُسعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَت وَعَلَيهَا مَا ٱكتَسَبَت ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذنَآ إِن نَّسِينَآ أَو أَخطَأنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحمِل عَلَينَآ إِصرًا كَمَا حَمَلتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعفُ عَنَّا وَٱغفِر لَنَا وَٱرحَمنَآ ۚ أَنتَ مَولَىٰنَا فَٱنصُرنَا عَلَى ٱلقَومِ ٱلكَٰفِرِينَ﴾[البقرة: ٢٨٤-٢٨٦].

هذه سورة تصنعك أصلًا وتصنع أُمّة، بدون قراءة تفسيرها! فأنت تقرأ هذه السورة كاملة وأنت تصلي.

[٥] ذكرت هذه الآية في [البقرة ٢٨٥]، [النساء ٤٦]، [المائدة ٧] و[النور ٥١]

- فتخبرك أنك سوف تُهاجَم على مستوى الشبهات، مثل: شبهات النصارى، وأنك سوف تُهاجَم على مستوى الحرب المادية، مثل: غزوة أُحُد والمشركين، وفي سورة آل عمران كيف واجهنا هذا كمسلمين؟ وكيف أنَّ عندنا مُحكَمَات نتحاكم إليها؟ وكيف أنَّ هناك متشابهات يستغلها أهل الباطل؟ وكيف تحدث أحداثًا قدرية غير مفهومة ونقول: ﴿أَنَّىٰ هَٰذَا﴾[آل عمران ١٦٥] ثم يُفهّمنا الله عزَّ وجل إياها، إذًا المشكلة عندنا. وتُختَم السورة بدعاء الله خشية أن تضل: ﴿لَا تُزِغ قُلُوبَنَا بَعدَ إِذ هَدَيتَنَا﴾[آل عمران ٨] كما دعوت في بداية السورة، وتتدبر القرآن وتتدبر الكون وتُختَم أنك لا بد أن تصبر وتصابر وترابط.
- ثم تدخل في سورة النساء فتُفاجَأ بالعدل المبهر في السورة وتوزيع الحقوق غير الطبيعي، فكل شخص يأخذ حقه، مثل اليهودي الذي افترى عليه منافقٌ كان مع الأنصار، فنزلت صفحة كاملة في المصحف في سورة النساء لتبرِّئ اليهودي، فتُفاجَأ!
- ثم تقرأ أول سورة المائدة، يقول تعالى فيها: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحكُمُ مَا يُرِيدُ﴾[المائدة ١]، فتتساءل عن أحكام الله لتلتزم بها!تجد حكم الله في كل شيء، حتى في طعامك، تجد حكم الله في الأطعمة، وفي العلاقات الخارجية؛ في الولاء والبراء، ثم تنتهي من سورة المائدة لتدخل في سورة الأنعام، وهكذا...

بدون السؤال عن موضوع السورة وتقسيماتها، **سلِّم نفسك للسورة** وسلِّم نفسك للمصحف، ستجد أنك تتغير وتتشكل ويُعاد تشكيلك حتى تفكر كمسلم؛ أنت لم تدرس فقه ولا عقيدة بعد، لكن هُويتك ووظيفتك وانتمائك يتشكلون الآن على الشكل الإسلامي من خلال تعرضك المستمر لآيات القرآن.

هناك فجوة رهيبة حدثت بيننا وبين الوحي بسبب أزمة اللغة، والانهزام النفسي، وأنه لا يوجد وقت لتلقي العلم، ولا يوجد تعليم ديني؛ فحدثت فجوة بيننا وبين القرآن، ودور أي إنسان مُصلح هو كسر تلك الفجوة التي بين الناس والقرآن، وأن يُسلّم قلوب الناس للقرآن، هذا أهم دور –ألا تتدخل أنت– لكن دورك فقط تعريض الناس لهذا النور ونزع الحواجز المانعة.

فمثلًا يقرأ الإمام آيات تَهُز جبال في صلاة التراويح، ولا يوجد تغيير –أنا لا أقصد أن يبكي– بل أقصد أن تلك المعاني التي تسمعها وأنت تصلي قد غيّرت أُمّة!... قال تعالى عن آياته: ﴿إِنَّا سَنُلقِي عَلَيكَ

قَولًا ثَقِيلًا﴾[المزمل ٥]، فالمطلوب منك ضخم جدًا، أي أنَّ المطلوب منك في الآيات التي تُتلى؛ مطلوب ضخم وثقيل، تلك مهمة ضخمة، لكننا نتلقى كل آية وحدها -جزئيات- مع أنَّ هذه الآيات غيَّرت أُمّة! وعندما نَزَلَت على الصحابي قال: "كاد قلبي أن يطير".

حاولتُ في أكثر من درس إيصال كيف أنَّ القرآن أثر في الصحابة؛ هناك خطبة بعنوان "كيف غير القرآن الصحابة"، وهناك درس بعنوان "التغيير بالقرآن والواقع العلماني"، وهناك محاضرة مع إخواننا من برنامج تاج الكرامة -جزاهم الله خيرًا-، محاضرة بعنوان "كيف غيَّر القرآن الصحابة"، وهناك محاضرة بعنوان "مشاعرنا تجاه القرآن"، كل هذه محاضرات محاولةً مني لإيصال كيف أثَّر القرآن في الصحابة؛ بمعنى ما الأصول التي تغيرت في الصحابة فأصبحوا هكذا؟، فأنت عندما تقرأ في واقع المتفلسفة وواقع الصحابة، تجد الفلاسفة يقولون إنهم يستطيعون الوصول للحكمة بأنفسهم وأنهم لا يحتاجون للوحي كما يحتاجه المسلمون، وتجدهم يقولون: "تريدون أن تصلوا للأخلاق أيها المسلمون؟ نحن -الفلاسفة- نستطيع أن نصل إلى الأخلاق، وأي شيء تريدون الوصول إليه و تدّعون أنه لا يمكن الوصول إليه إلا بالنص، أنا -الفيلسوف- أقول لك أنه من الممكن الوصول إليه بدون نص"!!! هذا من أهم الفوارق الأساسية بين الفلسفة والوحي، فالفلسفة قائمة على الشك والوحي قائم على اليقين، قال تعالى: ﴿لَا رَيبَ فِيهِ﴾[البقرة ٢].

كان تغيير القرآن للصحابة تغييرًا على المستوى العقلي، فقد حظر القرآن على العقل أماكن كثيرة ستفسده؛ فالإنسان بطبيعته غير قابل للانضباط، بل يحتاج ما يضبطه، قال تعالى: ﴿بَل يُرِيدُ ٱلإِنسَٰنُ لِيَفجُرَ أَمَامَهُۥ﴾[القيامة ٥] فهو لا يحب القيود؛ عبَّر عنها الشيخ الطريفي بقوله: "أي قيود توضع على الإنسان، يرفضها"، حتى لو كان هذا القيد هو لا يفعله أصلًا، وأتى بمثال، قال: "لو منعت شخصًا ينام يوميًا من الساعة الحادية عشرة ليلًا إلى الساعة الخامسة صباحًا، من الكلام من الساعة الثانية فجرًا إلى الساعة الثالثة فجرًا؛ سيشعر أنه منزعج مع أنه لا يتحدث أصلًا في تلك الفترة، وتجده يقول: "لماذا أُمنع؟" ويظل مستيقظًا طوال اليوم منزعجًا!!!

فالإنسان دائمًا يرفض القيود، وهذا من الهوى والنفس والشيطان، مثل قصة سيدنا آدم وإبليس؛ فالجنة كانت واسعة جدًا، وقد مُنِعَ سيدنا آدم من شجرة واحدة فقط، قال تعالى: ﴿لَا تَقرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾[٦]

[٦] ذكرت هذه الآية في [البقرة ٣٥] و[الأعراف ١٩].

فقام الشيطان وصوَّر لسيدنا آدم أنَّ هذه أحسن شجرة في الجنة بينما الجنة مملوءة بالأشجار، لفظ جنة أي أنها مليئة بالأشجار، عندما تقول على بستان أنه جنة هذا معناه أنَّ الأشجار ملتفة لدرجة أنَّ الأرض غير ظاهرة.

إذًا الإنسان لا يحب الضبط فهو بطبيعة عقله مُنطلِق ونفسيته منطلقة وقلبه ومشاعره منطلقان، فيأتي القرآن ليضبط تفكير الإنسان، فيخبره أنَّ تلك المنطقة من التفكير لن تفيده، وأنَّ عمره سيضيع فيها، ويضبط له مشاعره، ويضبط التعامل بين الرجل والمرأة، ويمنعه من فعل شيء معين حتى لا يُدمّر نفسَه ثم لا يصل لشيء؛ ويخبره القرآن أنه سيأتي بآخر طريق الشهوات ولن يشبع؛ لأنه يشبه من يشرب مياه مالحة، لن يرتوي أبدًا.

((القرآن يضبطك ويعيد تشكيلك على مستوى العقل، وعلى مستوى النفس، والروح))

وقتها من الممكن أن تستنتج حكمًا شرعيًا قبل سماعه؛ لأنك تشعر أنه أمر بديهي -لكن هذا ليس حكمًا شرعيًا، بمعنى أنه لا يُبنى عليه أي عمل-.

مثال: عندما تتساءل عن أحكام معينة في التعامل بين الرجل والمرأة، أو أحكام معينة في تفاصيل معينة، تجد أنك تلقائيًا بدأت تفهم أنَّ هذا الفعل حلال وأنَّ هذا الفعل حرام -أنا لا أقول لك أن تعتمد على استنتاج الأحكام الفقهية بنفسك، بل أقول لك إنَّ القرآن جعلك تفكر تفكيرًا شرعيًا- **الشرع منظومة متكاملة**، وهذه أخطر نقطة في التعامل مع الشرع، كقضايا المرأة، يأتي هذا المخرِّب بحكم فقهي معين ويعرضه للناس ويقول إنَّ هذا فيه ظلم للمرأة! أتى الشيخ الطريفي في كتابه -أظن (العقلية الليبرالية)- بمثال جميل جدًا، يقول: "تخيَّل لو جئنا إلى وجه امرأة حسناء، ومما زاد الحسن في وجهها وجود شامة سوداء صغيرة فيه، فلو أحضرت عدسة مكبرة وقمت بتركيزها بصورة كبيرة على الشامة السوداء وأظهرتها للناس، ثم سألت الناس عن اللون، فسيقولون لك أنه أسود، فتقول لهم، أليس هذا في وجه تلك المرأة؟ إذًا فهي وجهها أسود!"

هناك أناسٌ يتعاملون بتلك الصورة مع الدين؛ يأتون مثلًا بحكم يَخُص المرأة ويُضخّمونه جدًا ويقولون لك إنَّ هذا فيه ظلم للمرأة، بينما أنت إن ألقيت نظرة كلية على هذا الحكم ضمن المنظومة التي هو بداخلها فستجد أنه يزيد الحكم جمالًا؛ لأنه من الممكن على نفس المنوال أن تضخم أحكامًا مفروضة على

الرجال ثم تقول: "الرجال مظلومون، فهم لا يأخذون حقوقًا مادية كاملة، ومأمورون بالجهاد، وصلاة الجماعة، ومطلوب منهم عدة أمور غير مطلوبة من المرأة!". فإذًا النظرة التجزيئية لأحكام الإسلام من الممكن أن تجعلك تظن أنَّ الإسلام به خطأ!

إذًا فالإسلام منظومة متكاملة، يتلقى المسلم أحكامها بتكرار سماع القرآن كاملًا، وهذا هو ما يطلق عليه: (الحال المرتحل)[٧] -وإن كان الحديث فيه ضعف لكنَّ المعنى جميل- عندما تنتهي من ختمة تدخل في التي بعدها، وتكرر قراءته وتتلوه حق تلاوته ﴿يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾[البقرة ١٢١]، وهكذا يُعاد تشكيل عقل وروح الإنسان، فيُفاجَأ أنَّ أحكام الشريعة أصبحت أشبه بالواضحة، فعندما يأتيه حكمٌ شرعي، يشعر أنه متناسب مع فطرته، مثلًا؛ يأتي له حكم في قضايا المال والتعامل الربوي، وفي التعاملات الاجتماعية، وفي العلاقات في التعامل مع الكافر، وفي التعامل مع المسلم، وفي التعامل مع المرأة... أي قضية شرعية تأتي له يجد أنه مُسلِّم بها بسهولة؛ لأنه أعيد ضبطه.

هذه النظرة التجزيئية للإسلام هي ما وقع فيه البعض عندما اشتدَّت المناظرات بين الإسلاميين والليبراليين قبل عرض كليات الدين، فأصبح هناك ممانعة لكل حكم شرعي، ورفض له، ونقاشات وخلافات حوله، مع أننا إذا نظرنا لهذه الأطروحات بنظرة كلية سنجد أنَّ كليات الدين تطرح معنى العبودية أولًا، ومن الممكن أن يظل الليبرالي رافضًا للأحكام الشرعية، لكنِّي أتكلم عن شكل الطرح الأفضل.

إذًا؛ ما أردت قوله اليوم هو أنَّ كثيرًا من الإشكاليات مثل؛ إشكالية التدين معاصر، وقضايا المرأة، والجمع بين الدين والدنيا، سيُحَلُّ جزءٌ كبيرٌ منها عندما تفكر تفكيرًا شرعيًا صحيحًا كمسلم. كيف؟ وكيف لا تفقد هُويتك؟ وكيف لا تنجرف؟

* وكيف لا تُمسَخ المعاني بداخلك بدون علمك؟ كيف أنه من الممكن أن تترسخ بداخلك معاني العدل، والمساواة، والحرية، بتصور معين ليس شرعي وأنت لا تدري كيف تمنع حدوث هذا، وكيف تُكوِّن مناعة قوية ضد هذا التصور الخاطئ.

[٧] [عن عبدالله بن عباس]: أَحَبُّ العملِ إلى اللهِ تعالى الحالُّ المُرْتَحِلُ، قال: وما الحالُّ المُرْتَحِلُ؟ قال: الذى يَضْرِبُ من أولِ القرآنِ إلى آخِرِهِ، كُلَّما حَلَّ ارْتَحَلَ.
الألباني (ت ١٤٢٠)، السلسلة الضعيفة ١٨٣٤ • ضعيف • أخرجه الترمذي (٢٩٤٨)

- هذا من خلال التعرُّض الصحيح المستمر للوحي، كقول الله تعالى: ﴿يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾[البقرة ١٢١] هو أحد المعاني التي يحاول كل منا الوصول إليها؛ ماذا يقدم لنا القرآن في ظل هذه الأزمة الضخمة التي نعيشها؟ وأنَّ القرآن يبث الروح فينا مرة أخرى. عندما تصنع أرضية قرآنية من عموم المسلمين، تظهر نباتات التخصصات، هذا يتخصص في العلم وهذا يتجه للحركة، وهذا يتخصص في الدعوة، لكن على أساس أرضية واحدة إسلامية، عقلية ونفسية قرآنية قابلة للاستسلام للشريعة -بثّ هذا المفهوم في عموم الناس مهم جدًا-. عموم المسلمين يُعظِّم القرآن؛ فابدأ بالقرآن وانطلق منه، مع نفسك ومع الناس، ابدأ من النقاط المشتركة الموجودة في الوحي، وتحرك منها؛ لأنه لا خلاف في الوحي.

* هذه كانت فكرة اليوم؛ إعادة ضبط للفطرة، وللروح، وللعقل، وللقلب، وللنفس من خلال القرآن.

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا و إياكم من أهل القرآن الذين هم أهله وخاصته.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم. سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد ألَّا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك، وجزاكم الله خيرًا.